المحاضرة الخامسة

موضوع المحاضرة : الحضارة العاترية

التسمية والاكتشاف :

تؤرخ أقدم موقع يعود إلى الحضارة العاترية بأكثر من 41 ألف سنة ق.م، وتستمر في الإشعاع إلى حوالي 15 ألف سنة ق.م .1 وتعني تسمية الحضارة العاترية تلك الصناعة الخاصة بالباليوتي الأوسط والتي تشكلت من الشظايا، ويمكن القول أنها تنطبق إلى حد ما على الحضارة الموستيرية التي عثر على بقاياها بالدوردون لولا احتواء هذه الأخيرة على أدوات مجهولة في شمال البحر المتوسط .وتتمثل أدوات الصناعة العاترية في رؤوس ملساء مزودة بساق يسهل مسكها منه .وقد بقيت لمدة طويلة محل نقاش بين المختصين بغية إعطائها مصطلحا علميا واضحا يزيح الغموض عنها.

ويُعتبر الأستاذ والباحث في علم الآثار" موريس ريغاس(Maurice Reygasse) " أول من أطلق تسمية العاتري (Atérien)على هذه الحضارة سنة 1911 م، والتي اكتشفها عندما كان يُجري أبحاثه في الم وقع الأثري" وادي الجبانة "في بئر العاتر بالجزائر .حيث

تتميز هذه الصناعة بكثرة الأدوات الحجرية المذنبة(ذات الساق)، وتُعتبر في أ ريه سُحنة (Faciès)متطورة من الموستيري ، غير أنه، وبعد اكتشافها، أخذت في الانتشار في أوساط الباحثين، وقد اُعتمدت في الدراسات والأبحاث التي تُعنى بالعصور القديمة.

الفرق بين الموستيرية والعاترية- :

على الرغم من اعتقاد ريغاس بأن هذه الصناعة الجديدة والتي تشبه في جانب منها الصناعة الموستيرية، أنها مجرد تطور محلي لهذه الأخيرة، فإن الأبحاث و التنقيبات الأثرية في مناطق كثيرة، رجحت استقلالية الصناعة العاترية عن سابقتها الموستيرية، بعد أن أثبتت تلك التنقيبات في أغلب المواقع عن توضع الصناعة العاترية مباشرة فوق الصناعة الموستيرية، وهو ما جعل البعض يعتبرها مرحلة جديدة من م ا رحل تعاقب وتمايز الحضارات ، وكما أن تواصل الاكتشافات عنها في مناطق أخرى بالقارة الافريقية، خاصة بشمالها أثبت وجود هذه الصناعة بكثرة فيها، بينما تخلو القارة الأوربية تقريبا منها، وهو ما أدى إلى القول بصناعة جديدة أُطلق عليها اسم" العاتري"، جاءت بعد الموستيري زمنيا وتشمل معظم المناطق الواقعة جنوب البحر المتوسط، وتنتهي تقريبا في الصحراء الكبرى.

ورغم أن الأدوات العاترية والموستيرية ترتبطان بقربى كبيرة، وهي خاصة المكاشط و المخارز في الحضارة الموستيرية، التي تُضاف اليها المحكات في الحضارة العاترية بنسبة كبيرة، فإن أصالة الصناعة العاترية تكمن في أن الصنّاع قد جعلوا لبعض أدواتهم ذنيبات تحصلوا عليها بإحداث تحزي ا زت في قاعدة الأداة .1 ويضاف إلى ذلك أننا نلمس الفرق بين الصناعتين في كون انتشار الموستيرية ساحلي في شمال افريقيا، و لا يتوغل في الداخل بكثرة، بينما يغطي انتشار العاترية كل مناطق الشمال الافريقي، من الساحل إلى أطراف الصحراء.

مكوناتها الصناعية- :

إذا كانت مكتشفات الجنوب القسنطيني لا تثبت بأن الحضارة العاترية لم تشمل عل أي عنصر من عناصر الباليوليتي الأوسط، فإنها لا تسمح في نفس الوقت بترتيب هذه الصناعة وفق تسلسل تاريخي عام، لذلك كان من الواجب الرجوع إلى الأدوات المكتشفة على الشواطئ الصحراوية والتي كانت موضع نقاش طويل .ذلك أن افتقار مثل تلك المناطق إلى الصوان هو الذي دفع إنسان ما قبل التاريخ إلى استعمال آلات صغيرة مصنوعة من الكوارتز مثلا،

ومن بعض الصخور البركانية الأخرى، في حين وُجدت الأشكال الأساسية التي اتبع في تهذيبها الطريقة الليفالوازية، هناك الشظايا التي اُنتزعت من كتلتها على شكل أسطواني، وتمّ تهذيبها بسهولة عن طريق التنقيح للحصول على رؤوس مشابهة لرؤوس الحضارة الموستيرية، أو على مكاشط وأدوات ذات المقابض، أو رؤوس السهام .وتوجد هذه المجموعات الأخيرة بكثرة في الأراضي الحمراء على طول الساحل الجزائري، حيث يغطي الطمي في غالب الأحيان الحصى والقواقع التي تعود إلى شواطئ البحر المتوسط القديمة التي كان مستوى المياه فيها أعلى مما هو عليه حاليا.

ما يميز الصناعة العاترية وجود تلك الأداة، والتي أُطلق عليها الأداة المذنبة، أو بذات الساق (outils pédonculés) ، وذلك لوجود نهاية على شكل ذنب أو ساق في إحدى الجهات يشبه إلى حد كبير ساق الزهرة، بينما تأخذ الأداة في الجهة المقابلة عدة أشكال، منها الحاد بدرجات مختلفة، والمسطح، وحتى الدائري والمسنن .ويُعتقد أن الإنسان العاتري طوّر هذه التقنية الجديدة لتسهل عليه العمل بعدما لاحظ نقصا في الأدوات القديمة، ويظهر ذلك جليا من خلال ذلك الذنب المصنوع بدقة كمقبض يساعد اليد على التحكم في تلك الأداة، أو كنهاية لتركيب أجزاء أخرى كعصي طويلة من أجل استعمالها في الصيد أو غيره .ورغم كثرة الأدوات المذنبة في الصناعة العاترية، إلا أن هذه الأخيرة لا تقتصر عليها فقط، بل يوجد بجانبها كذلك الأدوات الأخرى المعروفة في الصناعة الموستيرية، كالمكاشط و الأزاميل وغيرها من الأدوات المختلفة.

مراحل الحضارة العاترية- :

تعرف ثلاث مراحل للحضارة العاترية تتمثل في:

العاترية القديمة :أغلبية المواقع التي تلحق إلى المرحلة القديمة للعاترية تتواجد على السواحل،وتتميز هذه المرحلة بصناعة أقرب من الصناعة الموستيرية بمقياس عالي لتقصيب ليفالوا، ويُلاحظ في العاترية القديمة ندرة القطع ذات العنق، وتنسب إلى هذه المرحلة مواقع الحنك ودار السلطان وعين جمعة في المغرب الأقصى، والخروبة و درار في الجزائر ، والرأس الأبيض و مونستير في تونس.

العاتري الأوسط(النموذجي :)يتميز بصناعة موستيرية بتقصيب ليفالوا بأعقاب متعددة الأوجه ونسبة من الصناعة تحتوي على عنق، تتمثل الأدوات أساسا في المحكات وخاصة منها المشكّلة على رؤوس النصال .المواقع التي تحتوي على العاترية النموذجية هي :وادي الجبانة، وادي جوف، والشعاع بشرق الجزائر.

العاترية العليا :حُددت لأول مرة المرحلة العليا من الحضارة العاترية في المغرب الأقصى، وتعددت مواقعها في الصحراء الجزائرية حيث يتواصل وجودها إلى غاية ظهور العصر الحجري الحديث .وتتميز أدواتها بالتشكيل البسيط بتهذيبات دقيقة ومتوسعة ومزدوجة الاتجاه، وتغلب عليها تعدد الرؤوس ذات العنق.

انتشار العاترية بالشمال الإفريقي- :

على عكس المواقع الموستيرية، فإن المواقع العاترية كثيرة العدد والانتشار في جميع أنحاء الشمال الإفريقي و الصحراء ومن أهمها نذكر موقع" بئر العاتر("تبسة)الذي أُشتق منه اسم هذه الحضارة، وموقع بيرار(عين تاقورايت بسواحل الجزائر العاصمة)، وموقع عين طاية، موقع الخنازير بحيدرة قرب مدينة الجزائر، وكذا موقع الخروبة قرب مستغانم . وفي المغرب الأقصى نجد مغارة تافورالت شمال وجدة .إضافة إلى موقع عرق تيهودين في سفوح جبال الطاسيلي نزجر في شكل مجموعات متراكمة.

أدوات ذات العنق، تعود للحضارة العاترية، التاسيلي نزجر
(متحف الحظيرة الثقافية الوطنية للتاسيلي نزجر)